الصراع العثماني الروسي والموقف الأوروبي منه (1853 – 1856م)

بشير حسن حسين السمو [*1] ، عبد الحكيم صالح غيث أحمد [2]، فاطمة عبد الرحمن يوسف القريد [3]
[1،3] قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة مصراتة، مصراتة، ليبيا
[2] قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة مصراتة، مصراتة، ليبيا
[*] **البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي):** b.assamo@edu.misuratau.edu.ly

The Ottoman-Russian conflict and its European perspective (1853-1856)

Bashir Hasan Hussein Assamo [*1], Abdul Hakim Saleh Ghaith Ahmed [2],
Fatimah Abdul Rahman Yousuf Algeried [3]
[1,3] Department of History, Faculty of Education, Misurata University, Misurata, Libya
[2] Department of History, Faculty of Arts, Misurata University, Misurata, Libya

Received: 10-04-2025; Accepted: 02-06-2025; Published: 11-06-2025

المُلخص:

شهد القرن التاسع عشر العديد من الأحداث المهمة التي كان لها نتائجها العالمية، من بينها ضعف الدولة العثمانية وحدوث تنافس بين الدول الأوروبية، للسيطرة على أملاكها وأعدت لذلك ذرائع كان من بين هذه الدول روسيا التي كانت لها أطماعها في منطقة القرم، فترتب على هذه الأطماع دخولها في تنافس مع كل من بريطانيا وفرنسا اللتين رفضتا المطالب الروسية للسيطرة على المنطقة، ونظرًا لذلك وبحجة حماية المصالح المسيحية، بدأت في تحقيق مصالحها الخاصة، فترتب على ذلك وقوع ما عرف بحرب القرم (1853 – 1856م)، التي انتهت بتوقيع عدة معاهدات، كان من أهمها معاهدة باريس (1856م) التي فرضت قيودًا على روسيا، وكشفت ضعف الدولة العثمانية، ففتح ذلك بابًا أمام المزيد من التدخلات الأوروبية، وأثر على توزان القوى الدولي.

الكلمات المفتاحية: روسيا، الدولة العثمانية، منطقة القرم، البسفور، الدردنيل.

Abstract:

The 19th century witnessed many important events that had their global results. Among them the weakness of the Ottoman Empire and the occurrence of competition between European countries to control its properties. Among these countries, Russia had their ambitions in the Crimea region. These ambitions resulted in their entry into competition with both Britain and France who refused Russian demands to control the region, and given the pretext of protecting Christian interests, and ultimately, began to achieve their private interests. As a result of the occurrence of what was known as the Crimean War (1853-1856 AD), which ended with the signing of several treaties, the most important of which was the Treaty of Manbaris (1856 AD) that imposed restrictions on Russia, and revealed the weakness of the Ottoman Empire. Therefore, this convention opened a door to more European interventions, and affected the balance of international powers.

Keywords: Russia, Ottoman Empire, the Crimea, Bosphorus, Dardanelles.

المقدمة:

شهدت الدولة العثمانية في أواخر عهدها العديد من الصراعات مع عدة دول يعود السبب الرئيسي لها لرغبة هذه الدول السيطرة على ممتلكاتها باعتبار أنها أصبحت ضعيفة، ومن أهم هذه الصراعات صراعها مع روسيا فيما يعرف تاريخيًا بالحرب الروسية– العثمانية التي قامت بين الدولة العثمانية وحلفائها ضد روسيا، وكان سببها الوحيد هو أطماع روسيا في الاستيلاء على عاصمة الدولة العثمانية "القسطنطينية" ومضائقها "البسفور والدردنيل"، ليس من أجل حماية رعاياها المسيحيين الأرثوذكس الموجودين فيها، وهذه الحرب سببت للدولة العثمانية خسائر كبيرة، ومن هذه الخسائر تدمير أسطولها البحري من قبل روسيا الموجود في ميناء سينوب على البحر الأسود، ولكن بمساندة الدول الأوروبية ومصر استطاعت أن تهزم روسيا، ولكن بسبب هذه الحرب استهلكت أمكانيات وقدرات الدولة العثمانية فأدى ذلك إلى فتح المجال أمام الدول الأوروبية في التدخل في شؤونها الداخلية وقراراتها.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز عدة جوانب سنوضح من خلالها ماهية الصراع أو الحرب الروسية – العثمانية كونها تجسد كونه يجسد العلاقة بين دولتين متجاورتين مختلفتين من حيث المرجعية الدينية ومتصادمتين من حيث الأهداف السياسية، حيث تسعى كل منهما إلى توسيع نفوذها للحفاظ على مكاسبها، بالإضافة إلى تقديم رؤية موضوعية عن العلاقات الروسية – العثمانية قبل حرب القرم وأثنائها، كذلك لكون هذه الدراسة ستحاول تسليط الضوء على هذه الفترة من خلال المعلومات التي يمكن أن يحتويه هذا البحث.

ترجع أسباب اختيار لموضوع إلى رغبتنا في تسليط الضوء على فترة من الفترات التي كان نتائجها تأثيرها المهم والذي لازال مستمرًا إلى وقتنا الحاضر، بالإضافة لمعرفة أوضاع الدولة العثمانية وروسيا قبل إعلان حرب القرم، والأسباب المباشرة وغير المباشرة لقيام هده الحرب (حرب القرم). ومعرفة أهم نتائج وأثرها على الدولة العثمانية وروسيا، وأهم بنود المعاهدة التي عقدت لإنهاء الحرب "معاهدة باريس 1856م".

أما عن أهداف البحث فتتمثل في إبراز الأوضاع الدولية قبل الحرب الروسية العثمانية 1853-1856م، والتعريف بالظروف والأسباب التي أدت إلى قيام حرب القرم 1853- 1856م، كذلك إبراز مجريات الحرب الروسية العثمانية ونتائجها.

مشكلة البحث وتساؤلاتها:

لقد تميز القرن الثامن عشر تراجع الدولة العثمانية على الساحة الدولية، وبروز الدولة الروسية كدولة قوية مزهوة بانتصاراتها في أوروبا وغيرها، حيث دفعتها قوتها للنزاع مع العثمانيين على الحدود

المجاورة لهما في البلقان وطرق التجارة والموقع الاستراتيجي للدولة العثمانية، وعلى إثر ذلك عملت روسيا على إسقاط الدولة العثمانية بأي وسيلة.

بناءً على ما سبق يثور التساؤل الرئيسي الذي مفاده: ما مجريات الحرب الروسية – العثمانية 1853–1856م "حرب القرم"؟ ويندرج تحت هذا التساؤل أسئلة فرعية، وهي:

1. ما الأحداث الدولية التي أدت حرب القرم؟
2. ما الظروف الخاصة التي أدت إلى قيام حرب القرم 1853– 1856م؟
3. ما مجريات الحرب الروسية العثمانية؟
4. ما أهم نتائج الحرب الروسية العثمانية؟

ولكي نصل إلى الإجابة الدقيقة عن هذه التساؤلات سنعتمد على منهجين هما المنهج التاريخي السردي التحليلي الذي يقوم على جمع المادة التاريخية الخاصة بأحداث هذه الفترة ومن ثم تصنيفها وتحليلها لكل نصل إلى النتائج المرجوة منها، كما سنعتمد على المنهج الوصفي باعتبار منهج موضوعي يحتوي على الأحداث والمعارك التي تحتاج إلى وصف أحداثها ومجرياتها من خلال الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع الخاصة بموضوع البحث.

حدود البحث:

1. **الحد الموضوعي:** والذي يشير إلى الحرب الروسية – العثمانية 1853– 1856م حرب القرم.
2. **الحد الزماني:** وهو الفترة بين أعوام 1853– 1586م، وهي الفترة التي حدثت فيها أحداث ومعارك حرب القرم بين الدولتين.
3. **الحد المكاني:** روسيا القيصرية والدولة العثمانية إضافة إلى مناطق نفوذ كل من الدولتين.

ومن هذا المنطلق سيوضح البحث ما شهدته هذه الفترة من خلال تقسيمه إلى تمهيد وأربعة محاور، أما في أولها طبيعة النشأة العثمانية – الروسية، في الجوانب: أولًا: النشأة العثمانية. ثانيًا: النشأة الروسية.

وتناول **المحور الثاني** جذور الصراع الروسي– العثماني، مسلطًا الضوء على جذور الصراع الروسي– العثماني وأسبابه، وأيضًا على أهم الأسباب التي دارت ما بين روسيا والدولة العثمانية قبل حرب القرم 1853– 1856م.

وتناول **المحور الثالث** دوافع أسباب الحرب والظروف التي أدت إلى قيام حرب القرم 1853-1856، مسلطاً الضوء على الظروف الدولية التي سبقت الحرب الروسية العثمانية، وأيضاً على الأسباب التي أدت إلى نشوب الحرب.

وتناول **المحور الرابع** مجريات الحرب الروسية العثمانية ونتائجها، فتطرق إلى مجريات الحرب الروسية العثمانية وأهم الجبهات القتالية، وأيضًا على نتائج الحرب الروسية العثمانية 1853- 1856م.

التمهيد:

لقد ظهر العثمانيون على مسرح التاريخ نتيجة لظروف وعوامل عديدة يأتي في مقدمتها نزوح قبائل تركمانية من أواسط آسيا، ليبدأ الصراع الذي استمر لسنوات طويلة بينهم وبين الدولة البيزنطية، ومن ثم تزامنت مه هذه الفترة اجتياح المغول بقيادة جنكيز خان خلال القرن الثالث عشر الميلادي للشرق الأوسط والفوضى التي أعقبت ذلك دفعت بالكثير من القبائل والعشائر للهجرة والانتشار على تخوم الأناضول.

ثم من بين العشائر التي هاجرت من خطر المغول الذي كان يهددهم، وهذه العشيرة يطلق عليها اسم قايي، وأن هذه لقد واصلت مسيرها فعبروا إيران واقتربوا من الأناضول. وتمت هجرتهم من جنوب غرب تركستان إلى شرق الأناضول على مدى عشر سنوات، ولقد ترأس القبيلة أرطغرل بعد وفاة والده. ولكن بعد سنوات من الفتوحات والتوسعات التي قام بها أرطغرل؛ ولكن توفي وخلفه ابنه عثمان في رئاسة القبيلة وهو في الثالثة العشرين من عمره، وهو مؤسس الدولة العثمانية.

على العموم بعد تأسيس الدولة العثمانية مترامية الأطراف من حيث المساحات الشاسعة التي تسيطر عليها، وأنها أيضًا بدأت تنافس الدول الأوروبية وأخذت تسيطر على أملاكهم، وهذا الذي خلق الصراعات بين بعضهم، ومن بينهم "روسيا" التي تريد أن تسيطر على أملاك الدولة العثمانية وتقضي عليها، وبدأ هذا الصراع أو العداء خلال منتصف القرن السادس عشر الميلادي.

أن الحرب الروسية – العثمانية تاريخيًا عدائية غير سليمة؛ وأن الحروب التي كانت قائمة بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية تركت ذكريات مريرة لدى الطرفين. وأن على مدى خمسة قرون دارت بينهما حروب ومعارك، واستدعى هذا الجوار الجغرافي والاختلاف الديني تصارعها عسكريًا.

بسبب هذه العلاقة العدائية بين الدولتين متجاورتين ومختلفتين من حيث الديانة، ومتصادمتين من حيث الأهداف السياسية، وظهرت بينهم في تلك الفترة عدة حروب من أجل وصول روسيا للمضائق

والمياه الدافئة التي تحت نفوذ الدولة العثمانية وأملاكها. ومن أبرز هذه الحروب هي الحرب الروسية _ العثمانية (حرب القرم) 1853- 1856م.

المحور الأول: طبيعة النشأة العثمانية والروسية:

أولاً: النشأة العثمانية:

تؤكد الحقائق التاريخية أن أول من فكر في فتح الأناضول[1] هم السلاجقة[2]. وفي 1015م، أجرى سلجوق أوغلو جغري بك أول حملة أناضولية تعرف فيها على مقاومة البيزنطية في الأناضول الشرقية، وهذه الحملة هزم سلجوق أوغلو قتالمش بك الجيش البيزنطي في حرب باسينلر Pasinler الميدانية قرب أرضروم[3]، وأسر القائد العام لباريد Liparit مع 100000 بيزنطي (18- 9- 1049م). وأرسل الإمبراطور البيزنطي فدية إلى أرطغرل بك لإعادة لباريد. إلا أن بك أعاد الفدية ووعد بإطلاق سراح القائد مقابل إعادة فتح الجامع الذي أغلق في استانبول لعبادة المسلمين المقيمين فيها (أوزتونا، 1988، مج 1، ص 65 - 66).

بعد ذلك قام ملوك السلاجقة وأمراء القبائل بترتيب غزوات على الأناضول في كل سنة تقريبًا، وأخذ يتقدمون في غزواتهم نحو الغرب (أوزتونا، 1988، مج 1، ص 66).

بالتالي تعد معركة ملاذ كرت[4] التي وقعت في 19 أغسطس 1071م، من أهم الأحداث التي وقعت وتتمثل هذه الأهمية في النتائج التي أسفر عنها تحول الأناضول إلى أراضٍ إسلامية ووطن ثانٍ، كما تعد هذه المعركة أيضاً إحدى الحوادث السياسية في تأسيس الدولة العثمانية والبداية الفعلية لانطلاق

---

(1) الأناضول: هي شبه جزيرة مستطيلة يحدها شمالاً البحر الأسود، وغرباً بحر ايجه، وجنوباً البحر المتوسط، وشرقاً جبال أرمينية ويبلغ طولها من الشرق إلى الغرب 1000 كم تقريبًا، وبين 450 و 650 كم من الشمال إلى الجنوب، وتقع بين خطي عرض 36 و 43، فهي بهذا تقع على الخط نفسه من الأندلس وصقلية. وهي مسطح مائل نحو الشمال الغربي تحيط به السلاسل الجبلية المرتفعة. (موستراس، 2002م، ص 15).

(2) السلاجقة: هم من قبائل الغز التركية، التي تنتمي في الأصل إلى طائفة (الأوغوز)، كانوا يعيشون في أواسط آسيا، وقد تسمى هؤلاء بالسلاجقة نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق، الذي كان يلقب بالقوس الحديدي لشجاعته وقوته. (المغلوث، 2014م، ص 41؛ الشطشاط، 2001م، ص 16- 17).

(3) أرضروم Erzeroum (ثيودوسيوبولس Theodosipolis، غارين Carin): مدينة في تركية الآسيوية [الأناضول]، مركز لولاية تحل الاسم نفسه. وتقع على سفح جبل غير بعيد عن نهر الفرات. (موستراس، 2002، ص 44).

(4) ملاذ كرت: (ملاز كرد) بلدة في تركية الآسيوية(الأناضول) في ولاية أرضروم، على نهر الفرات، وتقع شمال بحيرة وان الواقعة شرق تركيا، على خط عرض 39.09 والطول 42.31، وهي بالعربية: منازجرد. (موستراس، 2002، ص 468).

الحملات الصليبية[1] (أوزتونا، 1988، مج 1، ص 67)، وعلى العموم يمكن النظر إليها عل أنها كانت الحادثة التي هيأت لما وقع بعدها من أحداث من أهمها قوة القبائل الأناضولية وبداية الصراع الي استمد إلى أن وقعت معركة القرم موضوع بحثنا هذا.

نتيجة ذلك استطاعت القبائل التركمانية المسلمة تثبيت أقدامها في بلاد آسيا الصغرى، فنزلت في شرق ووسط منطقة الأناضول، وكان من ضمن تلك القبائل التي دخلت الأناضول وسكنته قبيلة (قايي أو الكايي) وهم أسلاف العثمانيين (الوذيناني، 2003، ص 20).

لقد اتخذت واحدة من هذه العشائر اسمها من اسم زعيمها سلجوق[2]. ونمت بالنصر تلو النصر، وتكاثرت سلالتها، وحكموا في القرن الثالث عشر فارس[3] والعراق وسوريا وآسيا الصغرى وفرت عشيرة من أقرباء العشيرة الأولى بقيادة زعيمها أرطغرل[4] من خراسان[5] في نفس القرن، حتى لا يكتسحها طوفان المغول. واستخدمها سلجوق أمير قونية[6] بآسيا الصغرى، في الأعمال الحربية، وأقطعها جزءاً من الأرض لرعى ماشيتها.(ديورانت، د.ت، ج5، م6، ص 54).

بعد وفاة أرطغرل في عام 1288م، تم اختيار ابنه عثمان[7]، وكان في الثلاثين من عمره، ليخلف أباه، ومنه اشتق اسم "العثمانيين". ولم يطلقوا على أنفسهم اسم الأتراك قبل القرن التاسع عشر، بل أطلقوه على الشعوب شبه الهمجية في (تركستان[8]) وخراسان. (ديورانت، د.ت، ج5، م6، ص54– 55).

نتيجة لذلك انتهت دولة السلاجقة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وظهرت مجموعة من الإمارات في الجبهة الغربية من الأناضول وآسيا الصغرى على الحدود البيزنطية، وقد تأسست هذه

---

(1) الحملات الصليبية: أو الحروب الصليبية هي حملات عسكرية وجهتها دول أوروبية إلى المشرق العربي والإسلامي لاسيما بلاد الشام ومصر لاحتلال بيت المقدس، وسميت بالحروب الصليبية لأنها اتخذت الصليب شعاراً لها. (محاسيس،2001م، ص 320).

(2) سلجوق: هو زعيم دولة السلاجقة "سلجوق بن دقاق"، التي قامت عام 1037م ما لبث إلى أن تجزأت في القرن الثاني عشر، وهو ما سهل على جيوش المغول القضاء عليها. (بشان، 2019، ص 76).

(3) فارس: ولاية واسعة في إقليم فسيح، كان موطن الدولة الأخمينية وقاعدة حكومتها مدينة (اصطخر) عاصمة فارس الساسانية وكان اليونان يسمونها (برسيبوليس Persipolis). (ابن كثير، د.ت، ج2، ص 173).

(4) أرطغرل: هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني ولد عام 1191م وتوفي عام 1288م وهو يعتبر مؤسس الدولة، وهو قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى. (المحامي، 1988م، ص 115).

(5) خراسان: كلمة فارسية معناها بلاد الشمس المشرقة (أي الشرق). هي بلاد واسعة تشكل الشمال الشرقي في إيران وتمتد بين جرجان وطبرستان من جهة وبين ما وراء النهر من جهة أخرى. (ابن كثير، د.ت، ج1، ص 471).

(6) قونية (Konia): (إيقونيومLconium) تقع في تركية الآسيوية [الأناضول]، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية "قَرَه مان" أصبحت في عام 1074م مقر الإمبراطورية التركية السلجوقية في آسيا الصغرى. (موستراس، 2002، ص 412).

(7) عثمان: هو عثمان بن أرطغرل ولد سنة 1258م، وهو الذي تنسب إليه الدولة العثمانية، ويعتبر أيضًا مؤسس الدولة العثمانية. (الصلابي، 2001م، ص 45).

(8) تركستان: بلاد تقع إلى الشمال والشرق من بلاد ما بين النهرين وتقع على الأراضي التي بين الجبال المتوسطة (آسيا الوسطى) وبين حوض نهر الخزر والهضبة الإيرانية. عاصمتها مدينة (طاشقند). (ابن كثير، د.ت، ج1، ص 377).

الإمارات المسلمة نتيجة للغزوات الإسلامية في آسيا الصغرى ضد البيزنطية، وعرفت هذه الإمارات بأمارات الغزاة لكثرة غزواتها وكانت إمارة آل عثمان[1] إحداها حين استطاعت هذه الأخيرة خلال قرن من الزمن أن تسيطر على كافة بلاد الأناضول في آسيا الصغرى والبلقان في الجبهة الشرقية في أوروبا وتنشئ دولة إسلامية مترامية الأطراف في الدولة العثمانية (بشان، 2019، ص 6).

ثانياً: النشأة الروسية:

في سنة 1300م لم يكن لروسيا وجود. وكان معظم القسم الشمالي يتبع ثلاث مدن ولكل دولة تحكم نفسها بنفسها، وهي نوفجردNovgorod، فياتكاViatka، بسكوفPskov. وكانت المقاطعات الغربية والجنوبية خاضعة لليتوانيا، أما في الشرق فإن إمارات (موسكو) و(ريازان) و(سوزدال) ونجنى لفجرد ونفرTver، ادعت كل منها لنفسها حق السيادة (ديورانت، د.ت، ج5، ص 1).

ثم بعد ذلك توحدت تحت ما يعرف بروسيا الكيفية وتأسست أول أسرة حاكمة على يد رودريك في نوفغورود جعلها مركز الإمارة أخذت في بسط نفوذها وضم مساحات شاسعة، وتم إدخال الديانة الأرثوذكسية[2] بتأثير من الكاهن فلاديمير واستخدمها في توحيد الإمارة الروسية، وبسبب الغارات التي تعرضت لها إمارات كييف[3] تم نقلها من الجنوب إلى روسيا الوسطى إلى هجمات المغول فسارعت روسيا إلى تشكيل جيش ضخم من أجل المغول إلا أن هذا الجيش تحطم قرب (بحر آزوف) (بشان،2019، ص 18).

لم يكن الخطر المغولي هو الوحيد الذي كان يهدد روسيا وإنما تعرضت لتهديد من الشمال والغرب خاصة من (السويد) و(بولندا) ولتوانيا التي كانت تقوم بغارات واسعة في داخل الأراضي الروسية إلا أن ألكسندر تفسكي استطاع هزيمة السويد ثم الفرسان التيوتون، بعد ذلك اتخذ المغول قرار كان له أثر في تقرير مصير روسيا تمثل في منح حرية الحكم للأمراء المحليين وتكليف أكبر أمراء الروس بجمع الضرائب، وكان أمير روسيا في ذلك الوقت هو فلاديمير الأعظم (بشان،2019، ص 18- 19).

المحور الثاني: جذور الصراع الروسي- العثماني:

أولاً: جذور الصراع الروسي – العثماني، وأسبابه:

يرجع جذور الصراع الروسي _ العثماني إلى منتصف القرن السادس عشر، وتحديدًا عندما قام القيصر الروسي إيفان الرابع باحتلال الضفة الشرقية للفولغا حتى اصطراخان، فشكل ذلك تهديدًا للعثمانيين وخانات آسيا الوسطى، فنتج عنه حدوث تقارب بين العثمانيين والأوزبك. وفي الواقع إن خانات آسيا الوسطى لم يكن بمقدورهم تأسيس علاقة مع الشرق الأدنى عبر

---

(1) إمارة آل عثمان: سبب تسميتها بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها عثمان بن أرطغرل، وتأسست سنة 1299م. (بشان، 2019، ص 6).

(2) الأرثوذكسية: كلمة يونانية تعنى "الرأي الحق" أو "الرأي المستقيم" وقد بدأت هذه التسمية منذ حوالي 14 قرن، استقلت الكنيسة الأرثوذكسية المشرقية عن كنيسة روما، في منتصف القرن الخامس الميلادي، ويبلغ عدد الذين يدينون بها حوالي 382 مليون نسمة هم مجموع الذين يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية (الرومية والسلافية) والمشرقية (القبطية والأرمنية والريانية). كما ينسب الأرثوذكس كنيستهم إلى القديس بطرس الرسول وباقي الرسل. (ساكا، 2019م، ص6).

(3) كييفKiev: وهي أشهر مدن الاتحاد السوفييتي، وتقع إلى الجنوب الغربي من موسكو وإلى الشمال الشرقي من رومانيا. (المحامي، 1988، ص 510).

بلاد فارس، ولذلك فقد كانت تعتمد على الطريق الذي يمر من شمال بحر قزوين وينتهي عند موانئ القرم. وعندما أصبح هذا الطريق تحت سيطرة الروس قامت خانات[1] آسيا الوسطى، وخاصة خان خوارزم[2] بالاستنجاد بالسلطان العثماني سليم الثاني[3] لكي يحرر لهم طريق الحج والتجارة من الروس. (إينالجيك، 2002، ص 63).

بعد ذلك اقتنع العثمانيون حوالي منتصف القرن السادس عشر بأن توسع الروس يهدد مواقعهم في حوض (البحر الأسود) و(القوقاز). (إينالجيك، 2002، ص 63).

لكن التوغل الروسي في الأراضي العثمانية لم يبدأ إلا في عهد بطرس الأكبر[4] مع نهاية القرن السابع عشر. فهو أول زعيم روسي يعلن عن عدائه الشديد للعثمانيين (حسون، 1994، ص 165).

لذلك أعد صوقللي باشا في الصدر الأعظم حملة كبرى سنة 1568- 1569م للاستيلاء على استراخان وتحويلها إلى قاعدة عثمانية للدفاع عن المنطقة، وأن يصل ما بين نهر الفولجا والدون بقناة صالحة لمرور السفن لتسهيل دخول الأسطول العثماني بحر الخزر(قزوين) عن طريق البحر الأسود، لكي يتمكن العثمانيين من وقف التوسع الروسي نحو الجنوب (الصلابي، 2001، ص 279).

لكن روسيا قامت بإعلان الحرب على الدولة العثمانية بعد تولي السلطان عبدالحميد الأول[5] العرش، وذلك في محاولة منها للانتقام لما لحق بها من هزائم سابقة، فاستطاعت جراء ذلك تحقيق النصر على العثمانيين في مدينة فارنا (Varna)[6] في شرقي بلغاريا[7] والواقعة على البحر الأسود، مما دفع السلطان عبدالحميد الأول وصدره الأعظم إلى طلب الصلح والمفاوضة. وتم ذلك في مدينة قينارجة[8] في

---

(1) خانات: جمع خان وهم أمراء التتر والتركمان وكل الإمارات الكائنة أو التي كانت في الاتحاد السوفييتي. (المحامي، 1988، ص 344).

(2) خوارزم: منطقة إسلامية في جنوبي بحر (آرال) أو (بحر خوارزم) هي نهاية حوض نهر (جيحون) وكانت عاصمتها مدينة الجرجانية. (ابن كثير، د.ت، ج1، ص 486).

(3) سليم الثاني (974- 982هـ/ 1566- 1574م) تولى الحكم في ربيع الأول سنة 974هـ/ 1566م، بايعه شيخ الإسلام أبو السعود وكذلك العلماء والوزراء والأمراء، اتصف بالشهامة والشجاعة والتقوى والورع وحب الخير، وصنع جسرًا في استانبول وأصلح جامع أيا صوفيا من آثار الزلزال. (ياغي، 1996م، ص 97).

(4) بطرس الأكبر: أو بطرس الأول(9 يونيو 1672- 8 فبراير 1725م) قيصر روسيا من سنة 1682م إلى سنة 1725م، وهو من أسرة رومانوف التي حكمت روسيا حتى سنة 1917م، وقد أصبحت روسيا في عهده دولة أوروبية ذات شأن. (المقرحي، 1996م، ص 231).

(5) عبدالحميد الأول: هو ابن السلطان أحمد الثالث ولد سنة (1137هـ- 1724م) وقضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزًا في سواتيه استلم الحكم ما بين (1187- 1203هـ/ 1773- 1788م) مدة حكمه 15 سنة وثمانية شهور تولى بعده سليم الثالث. (المحامي، 1988، ص 362).

(6) فارنا (Varna): مدينة تقع على البحر الأسود. فيها جرت الواقعة الشهيرة سنة (848هـ/ 1444م) بين العثمانيين وبين المجر وحلفائهم وانتهت بنصر العثمانيين. (ابن كثير، د.ت، ج2، ص176).

(7) بلغاريا: دولة بلقانيه جنوب شرق أوروبا. مساحتها 110912 110 كيلو متر مربع، بلغ عدد سكانها 8.9 ملايين نسمة في 1981م مقابل 8.2 ملايين في 1965م، بلغاريا دولة ذات نظام تعاوني تشكل جزءًا من الكوميكون وعضوًا في حلف وارسو. (حميدة، 1984، ص 67).

(8) قينارجة (Kajnarja): تقع إلى الجنوب الشرقي في سيلستريا في بلغاريا. (المحامي، 1988، ص 342).

بلغاريا عام 1774م، ووفق هذه المعاهدة – انسلخت بلاد القرم وبلاد بوجاق[1]، وبلاد قوبان[2] عن الدولة العثمانية، واستولت روسيا على كيلبورم وقلعة ويني وآزوف[3]، كما حصلت على حق الملاحة في البحر الأسود وحق حماية المسيحيين الأرثوذكس وكنائسهم في الدولة العثمانية وهم يشكلون غالبية المسيحيين، في مقابل ذلك فقد عادت (الأفلاق[4]) و(البغدان[5]) للدولة العثمانية، ولكن مع الاعتراف لروسيا بحق التدخل في شؤون هذه الإمارات. (هنداوي، 2015، ص24، 25).

في ذلك الوقت كانت روسيا تحت حكم القيصرة كاترين الثانية (1762– 1796م)، وذلك بعد تخلصها من زوجها بطرس الثالث، وكانت ألمانية الأصل. (هنداوي، 2015، ص25).

هنا لعبت روسيا دورًا كبيرًا في العمل ضد الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، فلم تكن لروسيا لتتنازل عن أراضٍ سبق أن خسرتها الدولة العثمانية، ولقد استطاع الروس أن يوقعوا بالعثمانيين انتصارات برية وبحرية في رومانيا والبحر المتوسط في الحرب التي دارت بين عامي 1769– 1774م. (حجر، 1989، ص 10 –11).

جراء ما سبق لم تقف الدول الأوروبية موقف المتفرج فأعلنت فرنسا رعايتها للكاثوليك دون وجود اتفاق ينص على ذلك.

أن الحرب الروسية العثمانية (1676– 1681م) هو الصراع الذي دار بين الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية في النصف الثاني من القرن السابع عشر مع هدف الهيمنة الإقليمية على أوكرانيا انطلاقًا من المدينة الاستراتيجية شيهرين على الضفة اليمنى لنهر الدنيبر في غرب أوكرانيا. (محاسيس، 2011، ص 260).

ولم تكتفِ بهذا فحسب بل حاولت اقناع بريطانيا باقتسام أملاك الدولة العثمانية التي رفضت وأمام ضعف الدولة العثمانية التي أجبرتها على توقيع اتفاقية تضمنت مجموعة من الامتيازات الجديدة لصالحها وتم تسليمها مفاتيح بيت لحم وبعض الأماكن المقدسة.

---

(1) بوجاق (Boudjak): بلدة في تركية الآسيوية [الأناضول]، في ولاية قره مان، لواء تكه، يطلق عليها اسم، كرمكي. (موستراس، 2002، ص171).

(2) قوبان: إقليم القفقاس يحده من الغرب بحر آزوف ومن الجنوب البحر الأسود. (المحامي، 1988، ص 342).

(3) آزوف (Azov): وتقع في الشمال الشرقي في بحر آزوف ويطلق اسم (بحر آزوف) على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود. (المحامي، 1988، ص 286).

(4) الأفلاق (Iflak): هي فالشيا فتكتب أيضًا: الأفلاق؛ والفلاخ هو الاعتماد التركي لكلمة: Valachie، وكان أول من أطلق التسمية الشعوب الجرمانية على السكان اللاتين، ثم استخدمها السلافيون والبيزنطيون ولاحقًا العثمانيون ليدلوا بها على الرومان البلقانيين ورومان شمال الدانوب، والكلمة منطقة تاريخية في رومانيا، ظلت تنتقل من يد إلى أخرى حتى شكلت باتحادها مع ملدافيا دولة رومانيا سنة 1859م. (موستراس، 2002، ص78).

(5) البغدان (Boghdan): هي ملدافيا Moldavie، وملدوفاMoldova بالرومانية؛ منطقة جغرافية وتاريخية في رومانيا تقع أقصى شمال شرق رومانيا. عاصمتها إياشي. (موستراس، 2002، ص 166).

ثانيًا: أسباب الصراع الروسي – العثماني:

هذا وقد لعبت مجموعة من الأسباب دورها الرئيسي في موضوع هذا الصراع منها على سبيل المثال لا الحصر الرغبة الروسية في الوصول إلى المياه الدافئة. (حجر، 1989، ص 10).

بالإضافة إلى سبب أخر هو هدف روسيا منذ فجر القرن التاسع عشر هو التسلل إلى القسطنطينية[1] (حجر، 1989، ص 14).

ثالثًا: أهم المعارك التي دارت ما بين روسيا والدولة العثمانية:

نتيجة لما نوَّهْنَا له في الفقرة السابقة وقعت عدة حروب بين الدولة العثمانية وروسيا ولأسباب مختلفة لعل من أهمها ما عرف باعتداءات القوزاق[2] على مناطق الحدود، والتي نجح من حلالها ملك القرم في تحقيق العديد من أهدافها منها هدم عدداً من الضياع وذلك عام 1768م، كما هاجم الروس مدينة طرابزون[3] إلا أنهم فشلوا في احتلالها، ولكنهم نجحوا في اقتحام بلاد القرم والسيطرة عليها وذلك عام 1771م. ثم جرت مفاوضات الصلح ولكنها فشلت بسبب مطالب روسيا التعسفية، وعادت الحرب وانتصر العثمانيون. (الصلابي، 2001، ص 314 – 315).

لكن استمرت الحرب مع روسيا فترة طويلة حيث بدأت في 1786م، وانتهت في عام 1774م، وفقدت الدولة العثمانية أراضي واسعة ومهمة، بعد هذه الخسائر بدأ يظهر الضعف والتأخر والتخلف الحقيقي في الدولة. (الصلابي، 2001، ص 316).

كانت روسيا تستعد للأخذ بالثأر، فأرسلت قوة كبيرة باتجاه (فارنا) المدينة البلغارية على البحر الأسود، وقد انتصرت على العثمانيين، فطلب الصدر الأعظم الصلح والمفاوضة، وتم ذلك في مدينة (قينارجة) في بلغاريا عام 1774م والذي نتج عنه اعتراف الدولة العثمانية باستقلال تتار القرم، وإقليم بسارابيا[4]، ومنطقة قوبان، وتعطى للسفن الروسية حرية الملاحة في

---

(1) القسطنطينية: ويقال قسطنطينة بإسقاط ياء النسبة قال ابن خرداذبة كانت رومية دار ملك الروم وكان بها تسعة عشر ملكًا، ونزل بعمورية منهم ملكان، وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلاً، وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك أيضاً قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بيزنطية وبنى عليها سوراً وسماها قسطنطينية وهي دار ملكهم إلى اليوم، واسمها اصطنبول وهي دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عمّرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه. (ابن خرداذبة، 1889، ج1، ص 23 – 25)؛ (الحموي، 1995، مج4، ص 347، 348).

(2) القوزاق (Kozak): مدينة في تركية الآسيوية [الأناضول]، في ولاية خداوندكار، لواء قره سي، في واد عند سفح جبل قاييقلي طاغ Gaikli –Dagh. (موستراس، 2002، ص 409).

(3) طرابزون (Trabizoun) طرابزوس (Trapezus). Trebizonde: مدينة في تركية الآسيوية [الأناضول]، مركز الولاية اللذين يحملان الاسم نفسه، على البحر الأسود. (موستراس، 2002، ص 345).

(4) بسارابيا (Basarabi): تقع إلى الغرب من مدينة كونستنزا الرومانية على البحر الأسود. (المحامي، 1988، ص 342).

البحر الأسود، والمتوسط، ويكون لروسيا حق في حماية النصارى الأرثوذكس من رعايا الدولة العثمانية، وتبني كنيسة في استانبول. (شاكر، 2000، ج8، ص 151- 152).

لذلك قامت روسيا بإعلان الحرب مرة أخرى على الدولة العثمانية في عام 1827- 1829م، اجتازت جيوشها نهر (بروت[1]) الفاصل بين الدولتين والذي يرفد نهر الدانوب قرب مصبه، واحتلت عاصمة إقليم البغدان (ياش[2]) الواقعة على النهر، ثم دخلت بوخارست[3] عاصمة الأفلاق. (شاكر، 2000، ج8، ص 166).

المحور الثالث: دوافع وأسباب الحرب:

أولًا: الدوافع:

لعبت مجموعة من الدوافع دورها في اندلاع هذه الحروب لعل من أهمها الظروف الدولية التي سبقتها إذ أنه في أعقاب الحروب النابليونية[4] نشطت حركة الاختراعات في مجالات النقل البري والبحري على المستوى العالمي، فأصبحت القطارات والبواخر أداة النقل الحديثة، وظهرت أيضًا المشروعات العديدة لمد خطوط ملاحية بخارية أو خطوط سكك حديدية بين أوروبا والشرق الأقصى عبر الشرق الأدنى. (نوار، د.ت، ص171).

أن في ذلك الوقت أصبح المشرق العربي ذا أهمية كبيرة في نقل التجارة الانجليزية في أقل وقت إلى بلاد الهند، بدل من نقلها عن طريق رأس الرجاء الصالح[5]؛ بسبب طول الطريق وعدم قدرة البواخر من قطع المسافات الطويلة من أوروبا، ثم الالتفاف حول أفريقيا من أجل الوصول إلى الهند، دون التعرض إلى أي متاعب فنية تجعل تكاليف الرحلة غالية لدرجة تؤدي إلى إلغاء الهدف الاقتصادي من وراء إرسال البضائع بواسطة البواخر إلى الشرق الأقصى أو جلب البضائع منه إلى أوروبا في الوقت المناسب، ولكن أدى هذا الانقلاب الجديد في خطوط المواصلات العالمية إلى ارتفاع التجارة في العراق

---

(1) نهر بروت (Brut): هو النهر الذي يحد رومانيا من شرقها ويصب في البحر الأسود. (المحامي، 1988، ص 359).

(2) ياش: وهذه المدينة تسمى عند الترك بهذا الاسم، وهي مدينة رومانية قديمة وعاصمة ولاية البغدان، وأطلق أسمها على معاهدة أمضيت فيها بين الروس والدولة العثمانية في 9 يناير سنة 1792م، ويطلق عليها اسم ياسي. (المحامي، 1988، ص 292).

(3) بوخارست: وتسمى في الكتب التركية (بكرش) بلدة جميلة جدًا قديمة العهد ولم تشتهر إلا بعد المعاهدة التي أبرمت بين الدولة العثمانية والروسية سنة 1812م وهي عاصمة مملكة رومانيا المكونة من إمارتي الأفلاق والبغدان. (المحامي، 1988، ص 170).

(4) الحروب النابليونية: هي سلسلة من الحروب التي وقعت بين الدول الأوروبية خلال فترة حكم نابليون بونابرت لفرنسا، والتي لعبت الثورة الفرنسية (1789م) دورًا كبيرًا بإثارة شرارتها. (محاسيس، 2011، ص 505).

(5) رأس الرجاء الصالح هو رأس من اليابسة في القارة الأفريقية بالقرب من كيب تاون في المحيط الأطلسي، ويشبه في شكله الرأس المحدب وتم اكتشافه 1497- 1498م، واكتشفه المكتشف البرتغالي فاسكو دي جاما (1469- 1524م) وهو مستكشف وملاح برتغالي قام بأول رحلة بحرية إلى الهند من طريق رأس الرجاء الصالح (1497- 1498م). (المقرحي، 1996، ص 428).

ومصر لدى كل من الانجليز (ذات المستعمرات الواسعة في الشرق الأقصى). (الطائي، 2015، ع4، مج22، ص1641).

لذلك أخذت فرنسا في التفكير بحماس في شق قناة السويس، وأخذ الانجليز أيضًا تفكر في مد خط ملاحي في أنهار العراق أو مد خط حديدي بين الإسكندرية والموصل وبغداد والبصرة من أجل الاتصال بالشرق الأدنى. (نوار، د.ت، ص171).

لكن سياسة الانجليز وفرنسا لم تنجح في المحافظة على الدولة العثمانية من أطماع النمسا في أملاك الدولة في البلقان، وأطماع روسيا في مناطق القرم والمناطق المحيطة بالبحر الأسود. (الجمل، عبد الرزاق، 2000، ص214).

ومما سبق أن السبب في قيام الانجليز وفرنسا على حماية الدولة العثمانية والوقوف بجانبها ضد الأعداء والتمردات الداخلية والخارجية ليس من أجلها بل من أجل حماية مصالحها الخاصة في البلاد العربية وتجارتها.

يوجد عند الانجليز أن مفهوم التوازن الدولي يعنى إبعاد روسيا عن المضائق العثمانية "البسفور[1] والدردنيل[2]" ولهذا قام الانجليز بمجاهرة سياسة الدفاع عن كيان الدولة العثمانية، ولكن ليس من أجل الدولة وإنما لتمنع روسيا من الوصول إلى المضائق. (نوار، د.ت، ص172).

إن روسيا عندما قامت بتوجيه أنظارها نحو عاصمة الدولة العثمانية ومضائقها تريد أن تحصل على المستوى الذي كانت تملكه كل من الانجليز وفرنسا في البحر المتوسط ،ولهذا كانت روسيا تريد أن تسيطر على القسطنطينية وتكون هي قاعدتها؛ وإن القسطنطينية لم تكن مجرد عاصمة عثمانية وإنما هي مفتاح البحر المتوسط وكان وقوعها سياسيًا وعسكريًا في يد الروس يجعل من البحر المتوسط طريق غير هادئ مؤدياً للهند بالنسبة للإنجليز وحيث إن الأسطول الروسي، لقد أصبحت عنده القوة من أجل أن يسيطر على كامل البحر الأسود والوقوف في وجه الأسطول العثماني الناشئ، وكان من الضروري على الانجليز تحقيق الأهداف الرئيسية التالية بعد وقوع الهجوم البحري على (ميناء سينوب[3]) العثماني (الطائي، 2015، ص1642):

- منع الأسطول الروسي من التفوق الكامل في البحر الأسود.
- منع الأسطول الروسي من الانطلاق عبر المضايق العثمانية والبحر المتوسط.

---

(1) البسفور هو أحد الممرّات البحريّة الدوليّة، معروفٌ باسم بوغاز إسطنبول وبوغاز البحر الأسود، معنى بوسفور باللغة اليونانيّة القديمة (مخاضة الثور). يَصل مضيق البوسفور بين بحر مرمرة والبحر الأسود. (الحلايقة، 2016، mawddoo3.com).

(2) الدردنيل يقع مضيق الدردنيل بين القارة الأوروبيّة والقارّة الآسيويّة، بحيث نجده يشكّل ممرًا دوليًّا مائيًا، بين كلّ من بحر إيجة مع بحر مرمرة، ويشكّل هذا المضيق فاصلًا ما بين الشّاطئ الموجود في آسيا الصغرى، وبين شبه جزيرة جاليبولي الموجود في القارّة الأوروبيّة. (الحلايقة، 2017، mawddoo3.com).

(3) ميناء سينوب مدينة تركية الآسيوية [الأناضول] مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية قسطموني، على البحر الأسود. (موستراس، 2002، ص315).

1. العامل الاقتصادي:

كانت روسيا تعد أكثر الدول الأوروبية اهتمامًا بأطماعها في البلقان، خلال الفترة التي أعقبت الحروب النابليونية، وكانت روسيا معنية بزيادة حجم صادراتها، وخاصة من القمح الذي كان يزرع بكميات كبيرة في روسيا. وكان ميناء (أوديسا) من أهم الموانئ التي يصدر عن طريقها، ولكن كان في البلقان ولايتان عثمانيتان هما (ولاشيا) و(ملدافيا) كانتا تصدران كميات كبيرة من القمح، ولذلك مكنتها من منافسة صادرات روسيا من أوديسا، ولهذا سعى القيصر نيقولا الأول إلى السيطرة على هاتين الولايتين بهدف أن يتحكم في إنتاجهما بما يفيد روسيا، وحتى يستطيع القيصر بواسطتهما أن يتحكم في البلقان المتطلع إلى روسيا. (برون، 2006م، ص496).

2. العامل الديني:

لجأت روسيا لإثارة المشاكل مع الدولة العثمانية عن طريق مطالبتها بامتيازاتها بشأن الأماكن المسيحية المقدسة في القدس، وبحق رعاية مصالح المسيحيين الأرثوذكس في الدولة العثمانية ولكنها رفضت ذلك. (الجمل، عبد الرزاق، 2000، ص216).

بالرغم أن روسيا معتنقة للمذهب الأرثوذكس المسيحي الشرقي وترى في نفسها وريثة للدولة البيزنطية، ويحلم قياصرتها بذلك اليوم الذي يستطيعوا به الدخول للقسطنطينية التي تمكن العثمانيون من فتحها سنة 1453م، وكانت مصالحها الجغرافية والمادية والاستراتيجية تقضي بضرورة تحديد علاقاتها بالدولة التي تسيطر على المضايق وتحديدًا مضيقي (البسفور والدردنيل) إما عن طريق القضاء عليها، أو على الأقل من أجل ضمان حرية مرور سفنها التجارية والحربية في أي وقت تريد إغلاقها أمام السفن المعادية لروسيا. (برون، 2006م، ص496).

مع ذلك أصبحت روسيا عقب الحروب النابليونية أكثر الدول تركيزًا على الحروب الصليبية. وكان كثير من ساسة روسيا يتعجبون من عدم مشاركة الدول الأوروبية لروسيا في حربها المقدسة، ولكن هذه الفكرة الصليبية كانت تجد ترحيبًا بين الشعوب البلقانية وزعمائها وبين شعوب أوروبا وليس بين زعمائها، ولكن الفكر الصليبي عند فرنسا وبريطانيا تحول إلى تبشير وتسلط تجاري وسياسي، وأنه كان التبشير الفرنسي كاثوليكي[1] والتبشير الانجليزي بروتستانتي[2]، ولكن بعد تفوق التبشير الفرنسي و

---

(1) المذهب الكاثوليكي كلمة مشتقة من أصل يوناني، تعنى "عام" أو "جامع". أطلقت تاريخيًا على أتباع كنيسة روما، ينسب الكاثوليك كنيستهم إلى القديس بطرس الرسول، تلميذ المسيح الذي صلبه نيرون، الإمبراطور الروماني، في العقد السابع ميلاديًا، وصار مقر الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هو دولة الفاتيكان، أصغر الدول حجمًا، تقع داخل إيطاليا، ويحكمها البابا فرنسيس، الذي يؤمن الكاثوليك بعصمته. (ساكا، 2019، ص 5).

(2) المذهب البروتستانتي هو ثاني أكثر المذاهب المسيحية اتباعًا، حيث يقدر عدد من يدينون به حول العالم بنحو 800 مليون نسمة، كما أنه الأكثر انقساماً بين عدة كنائس ومذاهب، بدأ المذهب مع حركة الإصلاح الديني التي تزعمها القس الألماني "مارتن لوثر"، وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية، وقصد بهذه التسمية إلى أن اتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، وتتبع الكنيسة البروتستانتية نظامًا تعاونياً أي يتعاون أعضاؤها على القيادة والوعظ، مع عدم المساس بالاستقلال الذاتي لكل كنيسة. (ساكا، 2019، ص 5)؛ (شلبي، 1998، ص 241، 242).

الانجليزي هزَّ مكانة روسيا في المنطقة، فكان أن وقع الصدام في بيت المقدس بين رجال الدين الكاثوليك ورجال الدين الأرثوذكس ليتحول بعدها إلى حرب كبرى باسم الدين المسيحي. (نوار، د.ت، ص172).

أن الظروف الاستراتيجية والاقتصادية والعامل الديني، هي التي مهدت إلى نشوب الحرب الروسية العثمانية 1853- 1856م، ولكن العامل الديني لعب دوراً مهماً في بداية الحرب والاضطرابات في الدولة العثمانية؛ ولذلك أخذ الروس هذا العامل ستارًا لهم، من أجل أن يحصلوا حق في حماية المسيحيين الأرثوذكس في القدس، بدل الفرنسين.

ويتضح مما سبق: أن الظروف التي سبقت الحرب الروسية العثمانية نشطت فيها الاختراعات وازدهرت فيها التجارة بين أوروبا والشرق الأقصى وعبر الشرق الأدنى، العامل الاقتصادي وهو عامل مهم لدى روسيا من أجل زيادة منتجاتها، ومن أهمهم القمح يزرع بكميات كبيرة في روسيا ويوجد ميناء يسمى (أوديسا) يقوموا بتصدير منتجاتهم منه، وهناك عامل آخر يطلق عليه العامل الديني، وهذا العامل هو السبب في إثارة روسيا المشاكل من أجل رعاية المسيحيين الأرثوذكس في الدولة العثمانية، ولهذا قامت حرب بينها وبين فرنسا من أجل الحصول على امتيازات لحماية رعاياهم في الدولة.

ثانيًا: الأسباب:

غير أن الهدوء النسبي الذي ساد بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية لم يستمر أكثر من عشر سنوات حيث إن آخر صراع بين الطرفين أزمة محمد علي مع السلطان العثماني "محمود الثاني"، إلى أن تجدد هذا الصراع على السلطنة بين الدول الأوروبية العظمى من خلال ما عرف بأزمة الأماكن المقدسة وقد نتج عن هذه المسألة أو الأزمة ما يعرف بحرب القرم. (هنداوي، 2015، ص40).

إن السبب الآخر في نشوب الحرب هي مطامع القيصر نيقولا الأول الموجهة نحو الآستانة. (طوسون، 1996، ص45).

لهذا حاولت روسيا مرات عدة التدخل في شؤون الدولة العثمانية ومنها تدخلها في أثناء الأزمة التي حدثت بين محمد علي والسلطان العثماني وكما أيضًا التدخل بحجة حماية المسيحيين الموجودين في الدولة العثمانية (هنداوي، 2015، ص40)، ولذلك في أوائل عام 1853م عرضت على الانجليز تقسيم أملاك الدولة العثمانية مصر وكريت، وترك لروس فرصة السيطرة على البلقان والمضايق، ولكن انجلترا لم توافق على هذا العرض عملاً بسياستها ومراعاة مصالحها. (الجمل، عبد الرزاق، 2000، ص216).

لكن هنا قامت روسيا بعدم إشراك فرنسا في العرض الذي ينص على تقسيم أملاك الدولة العثمانية؛ بسبب العداء الذي كان بين القيصر الروسي نيقولا الأول وامبراطور فرنسا(نابليون الثالث [1])؛ بسبب زيادة فرنسا لامتيازاتها في الأراضي المقدسة من أجل حماية المسيحيين الكاثوليك. (هنداوي، 2015، ص 41).

ومن الأسباب أيضًا الخلاف الذي حصل بين رجال الكنائس الكاثوليك والأرثوذكس (فرنسا وروسيا)؛ من أجل الإشراف على الكنائس في بيت المقدس، ولهذا قامت الدولة العثمانية بتشكيل لجنة من رجال كنائس مختلفي المذاهب، فأقروا بحق فرنسا في ذلك وبعد هذا القرار احتجت روسيا وهددت بالحرب. (شاكر، 2000، ج8، ص175).

بالتالي قررت روسيا إرسال بعثة إلى الآستانة من أجل التفاوض مع السلطان العثماني عبدالمجيد الأول[2] للحصول على امتيازات للرعايا الأرثوذكس، وأن الذي ترأس البعثة التي أرسلتها روسيا يدعى "منشكوف[3]" سفيرًا من أجل التفاوض في قضية الأماكن المقدسة، وأن هذه البعثة أرسلت في ظروف كان القيصر يعتقد فيها أن الانجليز لن تعترض فكرة اقتسام أملاك الدولة العثمانية، ولكن روسيا تظاهرت بأن غرضها هو البحث في قضية الأماكن المقدسة، ولكن في الحقيقة كان المقصد من إرسال هذه البعثة هو إيجاد أسباب الشقاق للتوصل إلى إعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول الأوروبية. (برون، 2006، ص499).

---

(1) نابليون الثالث هو ابن لويس بونابرت أخي نابليون الأول الذي عينه أخوه ملكًا لهولاندا ولد في مدين باريس في 20 أبريل 1808م – 9 يناير 1873م، وهاجر مع والديه بع سقوط الإمبراطورية الأولى وأقام في سويسرا ودخل في جيشها بوظيفة ضابط واشترك في ثورات إيطاليا. (المحامي، 1988، ص 491).

(2) السلطان عبدالمجيد الأول بن محمود الثاني بن عبدالمجيد الأول بن أحمد الثالث بن محمد الرابع، ولد في قصر الباب العالي بمدينة استنابول في 1822/5/6م وأمه الوالدة السلطانة "يزم عالم" 1807/ 1853م، تولى السلطان عبدالمجيد الأول عرش الدولة العثمانية بعد وفاة أبيه السلطان محمود الثاني في 1839/7/21م، وكان آنذاك عمرهُ لا يتجاوز الثامنة عشر. حتى وفاته في 1861/6/25م وقد كان مصابًا بمرض السل حيث كان في قصر "إهلامور" بالعاصمة إستنابول، وكانت فترة حكمه (22 عامًا).(كولن، 2014م، ص288،289)؛ (الصبيحات، 2020م، ص6،9،25).

(3) منشكوف 1787– 1869م قائد عسكري روسي نال أعلى الرتب العسكرية وتدرج فيها حتى نال رتبة ضابط إداري سنة1817م، ومن ثم رتبة أمير البحر سنة1833م بعد هجرته العسكرية الروسية سنة 1824م، وفي سنة 1853م ذهب على رأس وفادة خاصة إلى القسطنطينية، وفي خضم حرب القرم ارتقى عاليًا وأصبح القائد الأعلى لكافة القوات الروسية. (ar.m.Wikipedia.org 2021.01.10م).

رفض السلطان العثماني عبدالمجيد الأول حق حماية روسيا للنصارى "الأرثوذكس" المقيمين في الدولة العثمانية وقام أيضًا بإعادة مصطفى رشيد باشا[1] إلى الصدارة العظمى، الذي تم عزله إرضاءً لروسيا، ثم أرسل السفير الروسي بلاغًا نهائيًا للسلطان مع مهلة ثمانية أيام. (شاكر، 2000، ج8، ص176).

بعد ذلك حدد الديوان لمنشكوف 13 مايو، أي بعد انقطاع المهلة بثلاثة أيام موعدًا لمقابلته هو والسلطان العثماني... وأنه في 17 مايو بلغ منشكوف قراراً من مجلس الوزراء الجديد، وهيئة العلماء برفض المطالب الروسية المتمثلة في "قضية الأماكن المقدسة وحماية الرعايا الأرثوذكس في الدولة العثمانية"، وبعد هذا القرار غضب السفير الروسي وقام بقطع العلاقات مع الباب العالي، وثم غادر الآستانة في 18 مايو مهددًا الدولة العثمانية بعد فشل المفاوضات الروسية العثمانية وتقدمت القوات الروسية من أجل احتلال ولايتي الدانوب وهما (البغدان والأفلاق). (برون، 2006، ص 502 – 503).

ثالثًا: موقف الدول الأوروبية من حرب القرم:

سوف نتطرق إلى موقف الدولتين الأوروبيتين من نشوب هذه الحرب التي قامت بين الدولة العثمانية وروسيا، وهما الانجليز وفرنسا.

1. **الانجليز :**

كانت بريطانيا تسيطر على البحار وتمتلك ربع الأرض وتخشى خروج روسيا من مكانها وتضايقها؛ لذلك صارت تعطى الدولة العثمانية جرعات حياة من أجل أن تجعل منها سدًا منيعًا ضد روسيا، وكان الرأي العام البريطاني متعاطفًا مع العثمانيين، ويتجسد هذا في موقف (ستراتفورد دي كليف) السفير البريطاني في استانبول حيث أسند السلطان عبد المجيد الأول وشجعه برفض الإذعان للروس، وبعد ذلك نزل الروس نحو الدانوب، حيث انقضت البحرية الروسية على الأسطول التركي؛ ولهذا أدركت بريطانيا أنه لم يتبق لها مجال للتردد فأعلنت الحرب علي القيصر الروسي عام 1854م. (عمران، 2007، ع1، مج14، ص196).

2. فرنسا:

أما فرنسا فقد صادقت الدولة العثمانية منذ أيام السلطان العثماني سليمان القانوني[2] فحصلت على امتيازات خاصة لرعاياها ولما صارت روسيا تدعى بحق حماية المسيحيين الأرثوذكس، ولهذا أخذت فرنسا تدعى بحق حماية المسيحيين الكاثوليك وتحاول نشر نفوذها الثقافي والتجاري في الشرق الأدنى وخاصة في سوريا ولبنان. (عمران، 2007، ص196).

---

(1) مصطفى رشيد باشا أو مصطفى رشيد باشا الكبير ولد في 13 مارس 1800 وتوفي 7 يناير 1858م. وهو صدر أعظم ودبلوماسي ورجل دولة؛ ويعد أحد أهم رجال الدولة العثمانية في فترة التنظيمات وقد عمل كصدر أعظم ستة مرات في عهد عبدالمجيد الأول بما يعادل سبعة سنوات وشهر، بالإضافة إلى أنه عمل كوزير للخارجية أربع مرات، وكوالي لأدرنه، وكسفير في لندن وباريس. (ar.m.Wikipedia.org 2021.01.10م).

(2) سليمان القانوني (الأول) (926– 974هـ/ 1520– 1566م) تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام 926هـ/ 1520م. وفي عهده بلغت الدولة أوج قوتها واتساعها. وقد اشتهر سليمان بالتسامح والعدالة فعاقب الخارجين والباشوات والضباط الفاسدين والمنحرفين. (ياغي، 1996ص 62، 63).

لقد كان الهدف الفعلي للسياسة الروسية في مطلع عام 1853م كان من أجل إعادة النفوذ الروسي في القسطنطينية الذي فقدته روسيا بسبب فرنسا في قضية الأماكن المقدسة، وأن موقف فرنسا هو ضرورة الوقوف في وجه روسيا، ولهذا صدرت الأوامر إلى الأسطول الفرنسي الموجود في البحر المتوسط بالتوجه إلى مواقع قريبة من الدردنيل، وبالتالي بسبب هذه الحرب ولد التحالف الانجليزي والفرنسي في أكتوبر عام 1854م، ولكن في فبراير عام 1854م قامت الدولتان (فرنسا و الانجليز) بإرسال إنذار نهائي لروسيا تطلبان فيه انسحابها من الأفلاق والبغدان، ولكن روسيا رفضت الإنذار، ولهذا لا محال من بداية هذه الحرب. (عمران، 2007، ص196).

ولعل أن السبب الحرب التي قامت بين روسيا والدولة العثمانية ليس من أجل حماية المسيحيين الأرثوذكس في الأماكن المقدسة والدولة العثمانية، بل من أجل السيطرة على المضائق "البسفور والدردنيل" والبحر الأسود وعاصمة الدولة العثمانية "الآستانة أو القسطنطينية" وهذا ما كانت تخفيه روسيا وراء طلبها للحصول على امتيازات في حق حمايتها للمسيحيين الأرثوذكس، ومن هنا بدأت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية وحليفاتها (الانجليز وفرنسا) وهي ما يعرف بحرب القرم نسبة إلى المكان الذي وقعت فيها سنة 1853- 1856م.

ويتضح مما سبق: أن سبب نشوب حرب القرم هو أطماع روسيا في أملاك الدولة العثمانية، وأنها تريد أيضًا السيطرة على البحر الأسود والمضايق، وأنها وجدت العامل الديني فرصة من أجل أن تحصل على مطالبها، ولهذا عرضت روسيا على الانجليز تقسيم أملاك الدولة العثمانية ولكنها لم توافق، وأن الخلاف الذي قام بين روسيا وفرنسا من أجل حماية المسيحيين الأرثوذكس والمسيحيين الكاثوليك، وهذا أيضًا سبب من أسباب حرب القرم، ومن أجل فض الخلاف قامت الدولة العثمانية بتشكيل وهذه اللجنة قررت بأن فرنسا لها الحق في الإشراف على الكنائس في بيت المقدس، وبعد ذلك قامت روسيا بإرسال سفير يدعى منشكوف إلى السلطان العثماني عبدالمجيد الأول بأن يوافق على مطالبهم ولكن السلطان رفض ذلك، لهذا قام السفير الروسي بقطع علاقتهم مع السلطان العثماني وغادر بعدها الآستانة وقام بتهديد السلطان العثماني باحتلال ولايتي الدانوب وهما "الأفلاق والبغدان"، ولكن قام الانجليز وفرنسا بإظهار موقفهما من الحرب، ولهذا دخلت كلا الدولتين في هذه الحرب إلى جانب الدولة العثمانية ومساعدتها في التغلب على روسيا، ولكن وقوف الانجليز وفرنسا بجانب الدولة العثمانية في حرب القرم ضد روسيا، من أجل أن تأمن على مصالحها من التوغل الروسي.

المحور الرابع: مجريات الحرب الروسية العثمانية ونتائجها.

أولًا: مجريات الحرب الروسية العثمانية وأهم الجبهات القتالية:

ولكن هنا وجدت اختلاف بين المؤرخين في تأريخهم لبداية الحرب الروسية- العثمانية "القِرَم"، وفي هذه الحالة سوف نذكر بعضٍ من المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الحرب ومتى بدأت.

يذكر يلماز أوزتونا: "أن الحرب الروسية العثمانية المعروفة بحرب القرم بدأت بدخول 35000 جندي روسي و72 مدفعًا إلى الولايتين التابعتين للدولة العثمانية (الأفلاق والبغدان) في 3 يوليو 1853م،

ولكن بدأت الحرب في جبهة الطونة (الدانوب[1]) بقصف المدفعية التركية في 23 أكتوبر 1853م.

واجتاز عمر باشا[2] في 27 أكتوبر من نفس السنة منحنى نهر الطونة في فيدين Vidin[3] ودخل رومانيا". (أوزتونا، 1990، مج2، ص 48- 49).

يذكر جمال محمود حجر: "أن الحرب الروسية العثمانية بدأت عندما أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا في 4 أكتوبر 1853م، وأطلقت النيران على القوات الروسية التي احتلت الأفلاق والبغدان، ولكن روسيا ردت على ذلك بإغراق الأسطول العثماني في ميناء سينوب في 30 نوفمبر 1853م". (حجر، 1989، ص 78).

يذكر عمر عبد العزيز عمر: "أن الحرب الروسية العثمانية (حرب القرم) لم تكن بدايتها عندما قام القائد العثماني عمر باشا بمهاجمة القوات الروسية في ولايتي الأفلاق والبغدان، ولكن هذه الحرب بدايتها الفعلية كانت في 23 أكتوبر 1853م". (عمر، 2000، ص 108).

لهذا قام السلطان العثماني بإرسال إنذار لروسيا بضرورة إخلاء الولايتين، وإلا فإنه يضطر لإعلان الحرب عليها، وقامت فرنسا والانجليز بدعم الموقف العثماني، وتقدمت الجيوش العثمانية بقيادة عمر باشا الذي تمكن من تحقيق انتصارات هامة على الجيش الروسي، وتم طردهم إلى مناطق ما وراء الدانوب وانتصر عليه في القفقاس، كما وصل أيضًا الأسطولان الفرنسي والانجليزي إلى مضيق البسفور للتدخل إلى جانب الدولة العثمانية، ولكن الأسطول الروسي هاجم ميناء سينوب العثماني في 30 نوفمبر 1853م على البحر الأسود، ودمر السفن العثمانية المتواجدة فيه بعد معركة شرسة في نوفمبر 1853م، وعلى الرغم من انضمام الانجليز وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية لم تتراجع روسيا عن موقفها، ولهذا قام الطرفان بإعلان الحرب ضدها. (برون، 2006، ص503).

لكن القيصر الروسي رفض الإنذار الموجه له، وأعلن الحرب أيضاً على فرنسا والانجليز، ولذلك عقدت هاتان الدولتان حلفًا هجوميًا دفاعيًا مع السلطان عبد المجيد الأول في 12 مارس 1854م، وبدأ الحلفاء (الانجليز وفرنسا) في الاشتراك مع القوات العثمانية في طرد الجيوش الروسية من الأفلاق والبغدان وإجلائهم عنها فدخلت قواتهم إلى البحر الأسود في فبراير 1854م وأعلنت الحرب على روسيا ونضمت لهما سردينيا[4]. (هنداوي، 2015، ص42).

بعد ذلك في 13 يونيو 1854م اتفقت فرنسا والانجليز والدولة العثمانية مع النمسا على أن تحتل الجيوش النمساوية ولايتي الأفلاق والبغدان إذا أخلتها روسيا وبمقتضى هذه الاتفاقات دخلت جيوش النمسا

---

(1) الدانوب: ويعد نهر الدانوب أحد أعظم أنهار أوروبا، وينبع من جبال الغابة السوداء على مسافة عدة كيلو مترات من بداية نهر الراين، ويبلغ طوله قرابة 2851 كم، ويتجه النهر مجراه شرقاً على طول الجوانب الشمالية للألب. (موسى، الحمادي، 2001م، ص 40، 41).

(2) عمر باشا: قائد عثماني شهير نمساوي الأصل ولد ببلاد كروسيا 1806م، وخدم مدة في الجيش النمساوي ثم هاجر إلى البوسنة ودخل دين الإسلام، واستخدم في الجيش الشاهاني وترقى تدريجيًا حتى وصل إلى أعلى الرتب العسكرية وخدم الدولة العلية بكل صداقة وإخلاص، وانتصر على الروس في معركة أوبا توريا في حرب القرم وتوفي سنة 1871م. (المحامي، 1988، ص 497).

(3) فيدين: هي مدينة بلغارية تقع على ضفاف نهر الدانوب في شمال غرب بلغاريا بالقرب من الحدود الرومانية الصربية. (ar.m.Wikipedia.org 2021.02.25م).

(4) سردينيا: جزيرة في إيطاليا تقع في غرب البحر المتوسط جنوبي جزيرة كورسيكا. (ابن كثير، د.ت، ج2، ص 47).

في هاتين الولايتين بمجرد انسحاب جيوش روسيا منها، ولكن لم تعترض روسيا على العمل الذي قامت به النمسا باحتلالها لولايتي الدانوب. (المحامي، 1988، ص502، 503).

وبعد أن ازدادت معركة القرم عنفًا وشدة، قام الانجليز وفرنسا بعقد اتفاقًا مع سردينيا في 26 يناير 1855م وأعلنت فيه سردينيا انضمامها إلى المعاهدة الثنائية، وتعهدت بإرسال 15000 جندي إلى ميادين القتال مقابل تعهد فرنسا والانجليز بحماية ممتلكاتها من أي اعتداء طوال مدة الحرب، وقامت سردينيا أيضًا في 15 مارس 1855م بعقد محالفة مستقلة مع الدولة العثمانية قوت بها مركزها في البحر المتوسط. (عمر، 2000، ص 112).

بعد ذلك اجتمعت قوات الجيوش المتحالفة في مدينة وارنه[1] 21 يوليو 1854م بصفة مجلس حربي وقرروا ضرورة نقل ميدان القتال إلى الأراضي الروسية، وأجمعوا على إرسال العساكر إلى بلاد القِرَم ومحاصرة ثغر سباستوبول[2] الشهير بمناعة حصونه وقلاعه فأرسلت إلى جزيرة القرم ستين ألف جندي من الفرنساويين والعثمانيين والانجليز والمصريين، ونزلوا في (ايباتوريا[3]) في 13 سبتمبر 1854م. (المحامي، 1988، ص503).

وفي 30 سبتمبر 1854م حدثت واقعة نهر (ألما[4]) بالقرم، وقد اشتركت فيها الجنود الفرنسية والانجليزية بقيادة القائد الفرنسي سان أرنو[5] والقائد الانجليزي لورد رجلان[6]، وقد اشترك معهم أيضًا 7000 جندي من البيادة المصريين سائرين على شاطئ البحر المالح تحت قيادة سليمان باشا الأرناؤوطي، ولذلك هزم الروس في هذه المعركة بقيادة الجنرال منشيكوف. (طوسون، 1993، ص 188)؛ (عمر، 2000، ص 111).

خلال حصار (سباستبول) قاموا باحتلال (أوبا توريا) وهي مدينة من شبه جزيرة القرم؛ بجيش مؤلف من العثمانيين والمصريين، وتم ذلك في 9 فبراير 1855م، وفي أواسط شهر يونيو 1855م جاء القائد العثماني عمر باشا إلى مدينة (سباستبول) بجيش من المصريين

---

(1) وارنه Varna (أوديسوس Odissus ، Odessus): مدينة محصنة في تركية الأوروبية، في بلغاريا، مركز لواء وارنه، في ولاية سلسترة، على البحر الأسود. (موستراس، 2002، ص485).

(2) سباستوبول (Sebastopol): ثغر يقع جنوب شبه جزيرة القرم، انتزعه الإنكليز والفرنسيون من الأتراك سنة 1855م واستولى عليه هتلر سنة 1942م ورجع بعد ذلك إلى روسيا. (المحامي، 1988، ص 360).

(3) ايباتوريا: هي ايياتوريا Jev Patorija : ثغر يقع إلى الغرب من جزيرة القرم. (المحامي، 1988، ص 503).

(4) نهر ألما: نهر في بلاد القرم يبلغ طوله 83 كم يقع بين مدينتي سيفاستوبول و إيبتوريا، تعنى ألما في لغة تتار القرم التفاحة وينبع النهر من جبال القرم ويصب في البحر الأسود، وقعت بالقرب من النهر معركة ألما التي خسرها الروس تحت قيادة ألكسندر منشكوف. (ar.m.Wikipedia.org 2021.02.10م).

(5) سان أرنو: قائد فرنساوي ولد سنة 1798م واشتهر في محاربة العرب في بلاد الجزائر التي اكتسب فيها ربية تدريجيًا إلى أن وصل إلى رتبة فريق، ثم رقاه نابليون الثالث إلى رتبة مارشال التي تعادل رتبة المشرية الرفيعة عندنا لمساعدته له على قلب الحكومة الجمهورية في ديسمبر سنة 1852م، وتوفي 1854م في حرب القرم بسبب مرض عادي. (المحامي، 1988، ص 500).

(6) لورد رجلان: قائد انجليزي شهير ولد سنة 1778م، وكان من أركان حرب الدوك دي لنجتون الذي انتصر على نابليون الأول في وترلو، وحضر هذه الموقعة الشهيرة معه وقطع بها أحد ذراعيه، وتوفي في القرم سنة 1855م بالكوليرا. (المحامي، 1988، ص 500).

والعثمانيين استعدادًا للهجوم عليها، وفي (8 سبتمبر 1855م) سقطت قلعة سباستبول بعد حصار طويل دام عامًا (طوسون، 1993، ص 193، 209، 210)، بينما ذكر أحمد عبدالرحيم مصطفى "أن مدينة سباستبول سقطت في (9 سبتمبر 1855م). (مصطفى، 1986م، ص 210).

بعد أن قامت الدول المتحالفة بهزيمة الجيوش الروسية، أقنعت النمسا بالانضمام إليها فوافقت، ولكن بروسيا رفضت ذلك، وبعد مدة أيضًا انضمت مملكة البيمونت[1] بإيطاليا إلى الدول المتحالفة، و احتلت ميناء كيرتش[2] وبحر آزوف لمنع وصول الإمدادات إلى سيباستبول، التي أخلاها الروس بعدئذٍ وأحرقوها، والتي دخلتها الدول المتحالفة سنة 1855م. (شاكر، 2000، ج8، ص178).

أنه في سنة 1855م أطلقت دونانمات[3] فرنسا والانجليز قذائفها على عدة مدن في ثغور بحر البلطيق وعطلت التجارة الروسية وكذلك حاصرت مدخل البحر الأبيض الشمالي، ومنعت المراكب التجارية من دخوله. (المحامي، 1988، ص510).

بعد ذلك تقدمت الدول المتحالفة في أراضي أوكرانيا بعد سيطرتها على سيباستبول، وفي جبهة القفقاس استطاع الروس أن يستولوا على مدينة قارص، وبعد ذلك توقفت العمليات الحربية بسبب الشتاء، وانضمت السويد أيضاً إلى الدول المتحالفة ضد روسيا. (شاكر، 2000، ج8، ص178).

ويعد وقوف الإنجليز وفرنسا بجانب الدولة العثمانية ضد روسيا في هذه الحرب، ليس من أجل الحفاظ على أملاك الدولة العثمانية بل خوفًا من تقدم روسيا باتجاه الآستانة والمضائق وسيطر عليها، ولهذا وقفت ضد روسيا من أجل أن تحد من تقدمها، وأنه من أهم الجبهات القتالية في هذه الحرب هي أيباتوريا وألما و سباستبول التي حدثت بين الدولة العثمانية وحلفائها وروسيا، وفي هذه الجبهات هزم فيها الروس أمام فرنسا، والإنجليز، ومصر، والدولة العثمانية، وانتهت هذه الحرب بعقد معاهدة وسوف نتطرق لها لاحقاً.

ويتضح مما سبق: أنه عندما قامت روسيا باحتلال ولايتي الدانوب، بإرسال إنذار لروسيا من أجل أن تنسحب منهما ولكن روسيا رفضت ذلك، ولهذا قام السلطان عبدالمجيد الأول بإعلان الحرب عليها لعدم وجود حل غيره، وبعد ذلك دخلت كلا من الانجليز وفرنسا في تحالف مع الدولة العثمانية لمساعدتها في الحرب ضد روسيا، ودخلت أيضاً مصر في هذه الحرب إلى جانب العثمانيين، وحدثت في هذه الحرب معارك ومن أشهرها ألما وسباستبول، وبعد هزيمة روسيا في هذه المعارك قامت الدول المتحالفة بإقناع النمسا في الدخول معها في تحالف ضد روسيا فوافقت، ودخلت أيضًا دول أخرى في تحالف مع فرنسا والانجليز في الحرب ضد روسيا، وهي مملكة بيمونت بإيطاليا وسردينيا وغيرها، وانتهت

---

(1) مملكة البيمونت: بيدمونت أو بييمونتي (بالإيطالية: Piemonte) وهو أحد أقاليم إيطاليا العشرين. تبلغ مساحة الإقليم 25402 كم^2 وتعداد سكانه حوالي 4.4 مليون نسمة. عاصمته تورينو، واللغة الرئيسية المحلية هي اللغة البيدمونتية. (ar.m.Wikipedia.org 2021.03.03م).

(2) كيرتش: هو مضيق بحري يصل البحر الأسود ببحر آزوف، ويفصل القرم في الغرب عن شبه جزيرة تامان في الشرق، ويبلغ عرضه 4.5 كم وعمقه نحو18 متراً، وأهم المدن عليه ميناء كيرتش. (ar.m.Wikipedia.org 2021.02.10م).

(3) دونانمات: مفردها (الدونانمة) مصطلح يطلق على الأسطول البحري. (عامر، 2012، ع117، 118، ص 373).

هذه الحرب بعقد معاهدة، سوف نشير إليها لاحقًا، وهي تعتبر من النتائج التي توصلت إليها الدولة العثمانية و الدول المتحالفة معها في الحرب ضد روسيا، وأطلق على هذه الحرب بالحرب الروسية العثمانية المعروفة بحرب القرم نسبة إلى المدينة التي وقعت فيها الحرب في عامي 1853- 1856م.

ثانيًا: نتائج الحرب الروسية العثمانية 1853- 1856م:

حيث إن التطورات التي حدثت في الحرب أقلقت القيصر الروسي نيقولا الأول[1] وبسببها تدهورت صحته وتوفي في 2 مارس 1855م، وبعد ذلك خلفه ابنه إسكندر الثاني الذي كان أكثر اهتمامًا بمصالح روسيا الداخلية من اهتمامه بمكافحة الثورات، ففضل إنهاء الحرب بالطرق الدبلوماسية، ولهذا انتهت الحرب بين الدولة العثمانية و روسيا بعقد معاهدة باريس. (عمر، 2000، ص 112).

وأنه في أواخر عام 1855م عرضت النمسا على جميع الدول المتحالفة من قبل أكبر وزرائها الكونت (دي بول) أن يرسل إلى روسيا بلاغًا نهائيًا بطلبات الدول، وإن لم تجب روسيا على جميع الاقتراحات، يستأنف القتال في سنة 1856م، وقبلت روسيا هذه الاقتراحات، وبعد مخابرات طويلة تم الاتفاق على عقد مؤتمر سام جديد في مدينة باريس لتقرير السلم نهائيًا، وانعقد هذا المؤتمر في باريس في يوم 25 فبراير 1856م برئاسة الكونت (ولوسكى[2]) وزير خارجية فرنسا وتوالت اجتماعات هذا المؤتمر إلى 30 مارس 1856م. (المحامي، 1988، ص512).

معاهدة باريس[3] 30 مارس1856م:

وفي النهاية قام قيصر روسيا الإسكندر الثاني[4] بالموافقة على المعاهدة، وتنص معاهدة باريس على البنود التالية من أهمها (شاكر، 2000، ج8، ص178- 179):

---

(1) نيقولا الأول هو ثالث أولاد بولص الأول، وتولى بعد موت أخيه إسكندر الأول في سنة 1825م بسبب تنازل أخيه قسطنطين عن حقه في الملك، وكان أشد ملوك روسيا عداوة للدولة العثمانية فحاربه وأمضى معها وفاق (آق كرمان)، ثم معاهدة أدرنه في 14 سبتمبر 1829م وحارب العجم وأخذ منها عدة ولايات، ثم حصلت حرب الشام بين مصر والدولة العثمانية وأبرم مع الدولة معاهدة خونكار اسكله سي سنة 1833م القاضية بمساعدته للدولة، وكان من أكبر مساعدي اليونان على الاستقلال، كما أنه محا ما كان باقيًا لبولونيا من الاستقلال الإداري. (المحامي، 1988، ص 416).

(2) ولوسكى: سياسي فرنساوي ولد سنة 1810م، ودخل الجيش الفرنساوي بعد سنة 1830م، ثم اشتغل بالسياسة سنة 1840م، وعين سفرًا بلوندرة سنة 1854م، ثم وزيرًا للخارجية في السنة التالية، واستمر بها خمس سنين، وفي سنة 1860م عين وزيرًا للمدافعة عن مشروعات الحكومة أمام مجالس النيابية، وفي سنة 1865م عين رئيسًا لمجلس شورى القوانين، وتوفي سنة 1868م. (المحامي، 1988، ص 512).

(3) معاهدة باريس Paris Muahedesi هي معاهدة عقدت في باريس في الفترة من 25 فبراير 1856م وإلى 30 مارس 1856م، وأنهت الحرب القائمة بين الدولة العثمانية وروسيا والتي استمرت ثلاث سنوات 1583- 1586م، ثم شاركت فيها فرنسا وانجلترا إلى جانب روسيا. (صابان، 2000، ص211).

(4) الإسكندر الثاني: ولد هذا الإمبراطور سنة 1818م، و تولى الملك في 2 مارس سنة 1855م بعد موت أبيه الإمبراطور نقولا فتمم حرب القرم وأمضى معاهدة باريس في 30 مارس سنة 1856م، ثم أخذ في إصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد للأخذ بالثأر. (المحامي، 1988، ص 507).

أ. تخلى المناطق التي احتلت أثناء الحرب من كلا الطرفين، ويطلق سراح الأسرى، ويصدر عفو عام عن جميع الذين تعانوا مع خصوم دولهم، وقبول مبدأ التحكيم في أي خلاف ينشب بين الدولتين.

ب. تطلق حرية الملاحة البحرية في البحر الأسود للدول جميعًا، ولا تنشأ فيه قواعد بحرية حربية سواء كان من قبل الدولة العثمانية أم من قبل روسيا.

ج. تطلق حرية الملاحة في نهر الدانوب واستقلال ولايته تحت السيادة العثمانية.

د. تبقى الأفلاق والبغدان تحت حماية الدولة العثمانية.

هـ. تبقى الصرب مرتبطة مع الدولة العثمانية، ولها استقلال ذاتي يضمن من قبل الدول ووضعها تحت الحماية.

و. تتخلى روسيا عن المطالبة بحماية الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية التي تتعهد بتحسين أحوالهم دون تدخل أي دولة في شؤونها الداخلية. (حجر، 1989، ص 90).

ز. تخلى روسيا عن جزء من بسارابيا[1] إلى الولايتين الدانوبيتين مع وضعهما تحت حماية الدول الكبرى. (حجر، 1989، ص 90).

ح. احترام استقلال الدولة العثمانية وعدم المساس بممتلكاتها. (عمر، 2000، ص 116).

ط. تعديل الحدود بين روسيا والدولة العثمانية. (عمر، 2000، ص 117).

ي. الاعتراف بحق الدولة العثمانية في إغلاق مضيقي البسفور والدردنيل في وجه السفن الحربية لسائر الدول. (عمر، 2000، ص 117).

ك. تعهد الدولة العثمانية بتحسين أحوال رعاياها المسيحيين في البلقان على ألا تتدخل أية دولة خارجية في شؤونها الداخلية. (عمر، 2000، ص 117).

ل. قبول مبدأ التحكيم في حالة وقوع خلاف بين الدولة العثمانية وغيرها من الدول. (مصطفى، 1986، ص 212).

م. تخلي روسيا عن مصبات نهر الدانوب حتى ملدافيا، على أن تعود هذه المصبات بالتالي إلى السيادة العثمانية. (مصطفى، 1986، ص 213).

ن. إعادة سباستبول إلى روسيا وقارص إلى الدولة العثمانية. (مصطفى، 1986، ص 213).

س. تسحب روسيا سفنها العسكرية من البحر الأسود ونقلها إلى بحر البلطيق. (أوزتونا، 1988، مج2، ص 58).

---

[1] بسارابيا: منطقة في الجنوب الغربي من روسيا، يحدها من الشمال بولونيا من الجنوب البحر الأسود ونهر الدانوب ومن الغرب البغدان، وهي أشبه بجزيرة صغيرة مساحتها 45630 متراً مربعاً، مركزها مدينة كيشنف، افتتحت المنطقة من لدن بايزيد الثاني عام 1481م، وبقيت تحت الإدارة العثمانية 331 سنة، حيث تركت لروسيا عام 1812م، وأعيد بعض منها عام 1856م، ثم انتقلت إلى روسيا نهائيًا عام 1878م بمعاهدة برلين. (صابان، 2000، ص 61).

أن نهاية هذه الحرب التي استمرت ثلاث سنوات، كانت بسبب تولي الامبراطور الإسكندر الثاني وموافقته على جميع اقتراحات الدول الأوروبية التي كانت تخشى من توغل روسيا داخل الأراضي العثمانية؛ ولذلك قامت بعقد معاهدة وهي "معاهدة باريس" التي وافق الإسكندر الثاني عليها، وبعد عقد هذه المعاهدة انتهت الحرب الروسية العثمانية 1853-1856م، وتم انقاد الدولة العثمانية من الهلاك الذي كان يهددها من قبل روسيا، كما أنه أيضًا يوجد اختلاف بين المؤرخين في تأريخ بداية الحرب الروسية العثمانية المعروفة بحرب القرم 1853- 1856م.

ويتضح مما سبق: أن الحرب الروسية العثمانية التي قامت بين عامي 1853-1856م والتي أطلق عليها اسم حرب القرم نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه، وانتهت هذه الحرب بعقد معاهدة بين الدولتين المتحاربتين بجهود من الدول الأوروبية، وأطلق على هذه المعاهدة بـ "معاهدة باريس سنة 1856م"، و تعتبر من أهم النتائج التي توصلت إليها الحرب، وهي إبعاد الخطر الروسي عن الدولة العثمانية وعن مصالح الدول الأوربية وهي "الانجليز وفرنسا"، وإرجاع كل ما أخذ منها في هذه الحرب، ونصت هذه المعاهدة على تلك البنود التي تم ذكرها سابقًا.

الخاتمة:

لعب العامل الاقتصادي والمتمثل في التنافس الاستعماري على ممتلكات الدولة العثمانية مع مجموعة من العوامل الأخرى والتي أُسْتُخدِم الدين فيها ستارًا من أجل الحصول على الموافقة الداخلية والخارجية لمثل هذه الأحداث التي أدت إلى توتر العلاقات العثمانية الروسية، و نتج عنها وقوع ما يعرف بحرب القرم 1853 – 1856م، والتي كان من أسبابها المباشرة هو أطماع روسيا في السيطرة على عاصمة الدولة العثمانية "القسطنطينية" ومضائقها "البسفور والدردنيل"، حيث حاولت الحصول على موافقة الدول الكبرى انجليز وفرنسا؛ بل أنها حاولت استمالتها إلى جانبها، إلا أن رفض هذه الدول لهذا العمل ليس دفاعًا أو موقفًا مع الدولة العثمانية إنما هو رغبتها في الحصول على حصة أكبر منفردًا من جهة، ورغبتها في الوقوف في وجه الامتداد الروسي من جهة أخرى، إلا أن هذا لم يمنع وقوع الحرب، وفي نهاية الأمر بدأت الحرب ودخلت فيها هذه الدول إلى جانب الدولة العثمانية وهي: الإنجليز وفرنسا ومصر وسردينيا والنمسا ومملكة البيمونت الإيطالية، وفتحت في هذه الحرب عدة جبهات قتالية ومن أهمها معركة ألما 30 سبتمبر 1854م، ومعركة ايباتوريا 1855م، ومعركة سباستبول 1855م.

وقد انتهت هذه الحرب باتفاق الدول الأوروبية على عقد معاهدة باريس 1856م، وأن هذه المعاهدة وافقت عليها جميع الدول المشاركة في الحرب من أجل الحد من التوسع الروسي في أراضي الدولة العثمانية، ومن بنود هذه المعاهدة تخلى روسيا عن المطالبة بحماية الرعايا المسيحيين في الدولة

العثمانية، واحترام استقلال الدولة العثمانية وعدم المساس بممتلكاتها، أي أنَّ روسيا بهذا العمل فتحت على نفسها عدة جبهات ولم تخسر علاقاتها مع الدولة العثمانية فحسب بل خسرت علاقاتها مع عدة دول، بالإضافة إلى خسارتها إلى الأراضي التي كانت تطمع بالسيطرة عليها.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت 280هـ/893م، المسالك والممالك، ج1، دار صادر أفست ليدن، بيروت، 1889م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت 774هـ/ 1373م، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية (قسم البلدان والجغرافيا والرحلات)، ج1، ج2، (موقع الإسلام) و(المكتبة الشاملة).
- أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مر: محمود الأنصاري، مج 1، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988م.
- أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مر: محمود الأنصاري، مج 2، ط1، شركة الهلال للطباعة والنشر، اسطنبول، 1990.
- إينالجيك، خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد. م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.
- برون، جفري، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، ط1، دار الأهلية للنشر والتوزيع والترجمة، عمان، 2006م.
- بشان، سميرة، العلاقات العثمانية الروسية 1800– 1878م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عيسى بن قني، جامعة بوضياف، المسيلة، 2019م.
- الجمل، شوقي، عبدالرزاق، عبدالله، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، د. ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.
- حجر، جمال محمود، تاريخ القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989م.
- حرب، محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، د.ط، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1994م.
- حسون، علي، العثمانيون والبلقان، ط2، المكتب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 1994م.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي بن عبدالله الرومي ، ت 626هـ/ 1229م ، معجم البلدان، مج4، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.
- حميدة، عبدالرحمن، جغرافية أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1984م.
- خولي، معمر فيصل، العلاقات التركية الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2014م.
- ديورانت، وِل وَايريْل، قصة الحضارة "الإصلاح الديني"، تر: محمد علي أبو درة، مر: علي أدهم، ج 5، مج 26/6، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
- ساكا، فرج، العقائد الخلافية بين الكنائس المسيحية الكاثوليك– الأنجيلية– الأرثوذكسية، ط1، مطبعة خاني، دهوك، 2019م.
- شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ج8، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م.
- الشطشاط، علي حسن، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د.ط، د.ن، بنغازي، 2001م.

- شلبي، أحمد، مقارنة الأديان المسيحية، ط 10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998م.
- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبدالرزاق بركات، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.
- الصبيحات، مصعب حمد عمران، التنظيمات الإدارية والمالية والعسكرية في عهد السلطان عبدالمجيد الأول وانعكاساتها على ولاية سورية (1255- 1276هـ/ 1839- 1861م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: علاء كامل عبد الجابر سعادة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، 2020م.
- الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د. م، 2001م.
- الطائي، حسن عبد علي، روسيا وحرب القرم 1853- 1856م، العلوم الإنسانية، ع4، مج22، مجلة العلوم الإنسانية، العراق، 2015م.
- طوسون، عمر، الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم 1853-1856م، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993م.
- عامر، محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، ع117،118، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، 2012م.
- عمران، كاظم إبراهيم، حرب القرم: أسبابها والنتائج المستخلصة منها، مجلة بابل- العلوم الإنسانية، ع1، مج14، جامعة بابل، بابل، 2007م.
- عمر، عمر عبدالعزيز، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000.
- كواترت، دونالد، الدولة العثمانية 1700- 1922م، تع: أيمن الإرمنازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004م.
- كولن، صالح، سلاطين الدولة العثمانية، تر: مصطفى جمال الدين، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2014م.
- محاسيس، نجاة سليم، معجم المعارك التاريخية،ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان،2011م.
- المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1988م.
- مصطفى، أحمد عبدالرحيم، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت، 1986م.
- المغلوث، سامي بن عبدالله بن أحمد، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، 2014م.
- المقرحي، ميلاد، تاريخ أوروبا الحديث 1853- 1848م، ط1، جامعة قار يونس، بنغازي، 1996.
- موستراس، س، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر، تع: عصام محمد الشحادات، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2002م.
- موسى، علي، الحمادي، محمد، جغرافية القارات، ط 6، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 2001م.
- نوار، عبدالعزيز سليمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- هنداوي، سهام محمد، التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية ما بين 1876- 1909م، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 2015م.
- الوذيناني، خلف بن دبلان بن خضر، الدولة العثمانية الغزو الفكري حتى عام 1327هـ/ 1909م، ط2، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003م.
- ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 1996م.